



هذه قد تم الاستيلاء عليها نتيجة معاهدات صلح عقدت بين العرب وأهل البلاد. ولكن يبدو من الواضح في زمن الوالي أبي الخطار، أن السكان المحليين كانوا يمتلكون معظم هذه المناطق. وكان البلديون، بطبيعة الحال، قد افتتحوا بعض هذه المناطق عنوة، ولكن من المحتمل جداً أن السكان المحليين استمروا في الاحتفاظ ببقية هذه الأراضي. ويعود هذا إلى قلة عدد المسلمين الفاتحين الأوائل، وإلى حصانة مواقع بعض هذه الأماكن. ولكن وصول الشاميين غير ميزان القوى في البلاد لصالح المسلمين، ومن هنا فلم تكن هناك مشكلة أمام أبي الخطار لإنهاء اتفاقية عبد العزيز - تدمير في منطقة مرسية، ولتوزيع أجزاء من الأراضي التي كانت ما تزال بيد السكان المحليين على الجنود الشاميين في الكور المذكورة أعلاه، والتي أصبحت منذ ذلك الوقت تسمى بالكور المجندة. وكانت تنظيمات أبي الخطار تنص أن يكون للشاميين ثلث الأراضي والمزارع التي يستقرون فيها، ويبقى الثلث الآخر للسكان المحليين الذين استمروا في الزراعة والعمل على ازدهار قراهم وأراضيهم⁽⁷³⁾.

لم يكن الشاميون مطالبين بالقيام بأية التزامات أخرى ما عدا الخدمة في الجيش، والاستعداد للجهاد عند الحاجة. وكانوا معفيين من أداء العشور على الأراضي التي يقيمون عليها، بينما كان يتوجب على البلديين، وبقية المسلمين الآخرين دفع هذه الضريبة. وفي العقود اللاحقة، أثناء فترة الإمارة وعصر الخلافة، حصل الشاميون على امتيازات أخرى على حساب البلديين، الذين ابتدأوا يفقدون بالتدريج سيادتهم الأولى منذ دخول الشاميين إلى الأندلس⁽⁷⁴⁾. وكان هؤلاء الشاميون يتألفون من ثمانية آلاف عربي، ونحو ألفين من الموالي. وينتمي العرب إلى مختلف عشائر اليمن وقيس ومضر وربيعة. أما الموالي فكانوا يتمون إما إلى أصول بيزنطية، أو بربرية وشمال إفريقية. وقد أصبح هؤلاء الموالي الذين دخلوا مع الشاميين يُسمون بالموالي الشاميين، بينما أطلق على الآخرين الذين دخلوا مع البلديين اسم الموالي البلديين. وبما أن الكثير من موالي المجموعة الأولى كانوا على اتصال وثيق بالأسرة الأموية الحاكمة، فقد عرفوا أيضاً باسم موالي بني أمية⁽⁷⁵⁾. وقد تركز استقرار هؤلاء الموالي في كورتي البيرة وجيان، ومما يدل

(73) انظر: الحميري، ص 36؛ الاطاحة: 102/1، 103، 107.

(74) المصدر نفسه: 104/1 - 105.

(75) انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص 196، 197. ابن الآبار، الحلة السراء، 201/1؛ أخبار مجموعة، ص 66، 70، 71، 82، 86، 87، 91، 92.

رهائن من كل جند لضمان مغادرتهم الأندلس خلال سنة واحدة، بعد أن يكونوا قد هزموا البربر. وبالمقابل فقد تعهد عبد الملك بنقلهم أثناء عودتهم إلى شمال أفريقيا في مجموعة واحدة، دون أن يفصلهم، أو يعرضهم لخطر البربر في شمال أفريقيا. فعبّر بلج ورجاله، واستطاعوا أن ينتصروا بسرعة على البربر في الأندلس، ثم رفضوا أن يغادروا البلاد. ومن هنا فقد قام صراع مرير بين المستقرين الأوائل، أو البلديين، وبين الشاميين، استمر حتى وصول والٍ جديد للأندلس، هو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، سنة 125هـ/742م.

لقد كان على علي بن أبي الخطار أن يعمل على إيجاد جو مناسب لاستقرار الشاميين في البلاد، ولم تكن هذه المهمة سهلة، لأن قرطبة كانت قد ازدحمت كثيراً، والبلديون يطالبون بانسحاب الشاميين وإخراجهم من البلاد، ولحل هذه المشكلة قرر أبو الخطار أن يمنح الشاميين إقطاعات من الأرض، في مناطق لم يستقر فيها البلديون بعد، تقع في كور معينة من الأندلس، وبهذا يتمكن الشاميون من الاستقرار تحت إمرة زعمائهم، وأن يكونوا جاهزين للجهاد والخدمة في الجيش العربي وقت الحاجة⁽⁷⁰⁾.

وقد جرى توزيع الشاميين واستقرارهم في الأندلس على غرار تجمعاتهم السابقة في بلاد الشام، أي نظام الجند. وقد تحرى أبو الخطار أن يكون استقرار كل مجموعة في مكان يحمل بعض التشابه للجند الأصلي الذي كانت تنتمي إليه في بلاد الشام. ومن هنا، فقد استقر جند دمشق في البيرة، وجند حمص في اشبيلية ونبله، وجند قنسرين في جيان، ووزع جند فلسطين بين شذونة والجزيرة الخضراء، وجند الأردن في رية (محافظة مالقة الحالية)، أما جند مصر، فقد قسم إلى قسمين، وزع الأول على أكشونية (Faro) Ocsonaba، وباجة في جنوب البرتغال الحالية، والثاني في تدمير (محافظة مرسية الحالية)⁽⁷¹⁾. أما أولئك الشاميون الذين سكنوا في مناطق مختلفة مع البلديين، قبل ترتيبات الاستقرار التي وضعها أبو الخطار، فقد بقوا في أماكنهم الأولى، ولهذا سموا بالشاذة، لأنهم شذوا في أماكن استقرارهم عن بقية إخوانهم الشاميين⁽⁷²⁾.

وباستثناء كورة تدمير، لا تتوفر لدينا معلومات تشير إلى أن أيّاً من أماكن الاستقرار

(70) الإحاطة (برواية ابن حيان): 102/1 - 103.

(71) انظر: ابن القوطية، ص 20؛ أخبار مجموعة، ص 46؛ ابن عذاري: 33/2؛ الإحاطة: 102/1 -

104.

(72) المصدر نفسه: 104/1.

تعريف

اميون: وهؤلاء بالأصل من القبائل العربية التي كانت ساكنة في بلاد الشام، أرسلها الخليفة ي، هشام بن عبد الملك، إلى شمال إفريقيا للقضاء على تمرد البربر هناك. وكان الشاميون بقيادة كلثوم بن عياض القشيري، ويبلغ عددهم نحو ثلاثين ألف رجل. استطاع البربر أن يهزمهم، ويقتلوا قائدهم كلثوم مع العديد من القواد الآخرين في منطقة بقدورة بالقرب من نهر سبو (124هـ/741م). أما الناجون من الشاميين، فقد ووا بقيادة بلج بن بشير، ابن أخي كلثوم، إلى جهة المغرب، حيث دخلوا مدينة وتحصنوا فيها. وقد حاصروهم البربر لمدة بضعة أشهر، وخربوا المناطق المحيطة بنة، وأقروا ما حولها مسيرة يومين، حتى كاد بلج وأتباعه الذين كانوا يبلغون نحو آلاف رجل، أن يهلكوا من قلة موارد العيش. وأصبحت حالتهم في سبته تيسة، فاضطروا إلى أكل دوابهم، وأضحوا على شفا الموت جوعاً⁽⁶⁸⁾.

وكانت الأندلس في تلك الأثناء يحكمها الوالي عبد الملك بن قطن الفهري. وقد بلج بن بشر عدة مرات من عبد الملك بن قطن، أن يسمح له ولرجاله بالعبور لأندلس، ولكن الأخير امتنع عن السماح للقادمين الجدد بالدخول، ورفض طلب وكان عبد الملك بن قطن وكبار رجال البلديين، يخشون من دخول الشاميين إلى قيام بلج بن بشر بإبعاد عبد الملك عن ولاية الأندلس، التي كانوا يعدونها، سلفنا، بلدهم الخاص بهم، ولا يسمحون باستقرار عشرة آلاف رجل آخر في هم التي افتتحوها بأنفسهم. وهكذا رفض عبد الملك بن قطن كل التماسات أهل، كما منع إرسال أية تموينات إليهم، وعاقب بقسوة أولئك الذين تجرأوا على الأطعمة للشاميين⁽⁶⁹⁾.

كن تطور الأحداث في الأندلس ذاتها، اضطر عبد الملك بن قطن إلى تغيير فقد أثرت أحداث شمال إفريقيا على الأندلس، وقام البربر بالتمرد على العرب ه. الولاية أيضاً. وعندما فشلت قوات عبد الملك الخاصة بالقضاء على هذا أيقن أنه لا خيار له من أجل التغلب على البربر، إلا بالسماح بدخول الشاميين لأندلس. فعقد معهم اتفاقاً، كان على الشاميين بموجبه أن يسلموا إليه عشرة

خيار مجموعة، ص 35، 37؛ ابن عذاري: 1/ 55 - 56، ج 2، ص 130 المقري: 20/3.
خيار مجموعة، ص 38 المقري: 20/3.

القوطية، ووصل إلى نيمس Nimes، وأخذ رهائن من أهلها وأرسلهم إلى برشلونة، القاعدة الإسلامية في شمال شرق الأندلس. ومن هذا المكان سار المسلمون حتى أدركوا نهر رودنة، وصعدوا مع النهر إلى نهر الساوون، ومن ثم توغلوا في إقليم برغندي وفتحوا مدينة أوتون Autun في 22 آب 725م/ربيع الثاني 107هـ⁽²²⁾. ويذكر بعض المؤرخين أن حملة عنيسة استمرت في سيرها حتى وصلت إلى مدينة أوزة Uzès، وفيه Viviers وفالانس Valence وليون، وماسون Mâcon، وشالون Chalon. ومن هناك تفرعت إلى فرعين، سار الأول نحو ديجون Dijon وبيز Beze ولانجر Langres، واتجه الثاني إلى أوتون مرة أخرى، ولم يقف تيار هذه الحملة إلا قرب بلدة سانس Sens، على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من باريس، وذلك بسبب تصدي أسقف سانس للمسلمين ووقفه لتقدمهم⁽²³⁾.

وقد عاد عنيسة ومن معه من الجند، وذلك بعد أن وصلته أنباء بحدوث بعض القلاقل في البلاد. ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى الأندلس، فقد هاجمته في طريق العودة جموع كبيرة من الفرنج، فاستشهد نتيجة للمعركة التي حدثت بين الطرفين في شعبان 107هـ/كانون الأول 725م. فقام القائد عطرة بن عبد الله الفهري - وتسميه المصادر المسيحية Hodera أو Hodeyra⁽²⁴⁾ - بقيادة الجيش والعودة به إلى قواعده. وهو الذي خلف عنيسة على ولاية الأندلس.

ويبدو أن حملة عنيسة لم تكن ترمي إلى الفتح المنظم الثابت، والدليل على هذا أنه لم يضع الحاميات في بعض المدن التي افتتحها، ولم يعمل على استقرار المسلمين في هذه المدن. وهذا يشير إلى أن حملته لم تكن سوى حملة سريعة بعيدة المدى، قصد منها الاستطلاع والتعرف إلى البلاد تمهيداً لفتوحات لاحقة. ولو استقر عنيسة في ليون مثلاً، كما يقول أحد المؤرخين المحدثين، «أو في أحد مراكز غالة الوسطى لكان في إمكاننا أن نقرر أنه فتح جنوبي غالة ووسطها، أما وقد عاد أدراجه بعد أن سار نحو

(22) انظر: تاريخ غزوات العرب ص 165، 173. The Chronicle of Moissac, p. 165.

(23) فجر الأندلس، ص 246 - 247. Cf. R. Abadal, op. cit., p. 20. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 139.

(24) The Chronicle of 754, p. 153 (no. 53).

وانظر: المقري، ج 1، ص 235 الذي يفهم من روايته بوفاة عنيسة مستشهداً في بلاد الفرنج، ولكن يذكر ابن عداري، ج 2، 26، أن عنيسة توفي حثاً وأنه لم يستشهد.

القوطية، ووصل إلى نيمس Nimes، وأخذ رهائن من أهلها وأرسلهم إلى برشلونة، القاعدة الإسلامية في شمال شرق الأندلس. ومن هذا المكان سار المسلمون حتى أدركوا نهر رودنة، وصعدوا مع النهر إلى نهر الساوون، ومن ثم توغلوا في إقليم برغندي وفتحوا مدينة أوتون Autun في 22 آب 725م/ربيع الثاني 107هـ⁽²²⁾. ويذكر بعض المؤرخين أن حملة عنيسة استمرت في سيرها حتى وصلت إلى مدينة أوزة Uzès، وفيه Viviers وفالانس Valence وليون، وماسون Mâcon، وشالون Chalon. ومن هناك تفرعت إلى فرعين، سار الأول نحو ديجون Dijon وبيز Beze ولانجر Langres، واتجه الثاني إلى أوتون مرة أخرى، ولم يقف تيار هذه الحملة إلا قرب بلدة سانس Sens، على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من باريس، وذلك بسبب تصدي أسقف سانس للمسلمين ووقفه لتقدمهم⁽²³⁾.

وقد عاد عنيسة ومن معه من الجند، وذلك بعد أن وصلته أنباء بحدوث بعض القلاقل في البلاد. ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى الأندلس، فقد هاجمته في طريق العودة جموع كبيرة من الفرنج، فاستشهد نتيجة للمعركة التي حدثت بين الطرفين في شعبان 107هـ/كانون الأول 725م. فقام القائد عطرة بن عبد الله الفهري - وتسميه المصادر المسيحية Hodera أو Hodeyra⁽²⁴⁾ - بقيادة الجيش والعودة به إلى قواعده. وهو الذي خلف عنيسة على ولاية الأندلس.

ويبدو أن حملة عنيسة لم تكن ترمي إلى الفتح المنظم الثابت، والدليل على هذا أنه لم يضع الحاميات في بعض المدن التي افتتحها، ولم يعمل على استقرار المسلمين في هذه المدن. وهذا يشير إلى أن حملته لم تكن سوى حملة سريعة بعيدة المدى، قصد منها الاستطلاع والتعرف إلى البلاد تمهيداً لفتوحات لاحقة. ولو استقر عنيسة في ليون مثلاً، كما يقول أحد المؤرخين المحدثين، «أو في أحد مراكز غالة الوسطى لكان في إمكاننا أن نقرر أنه فتح جنوبي غالة ووسطها، أما وقد عاد أدراجه بعد أن سار نحو

(22) انظر: تاريخ غزوات العرب ص 165، 173. The Chronicle of Moissac, p. 165.

(23) فجر الأندلس، ص 246 - 247. Cf. R. Abadal, op. cit., p. 20. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 139.

(24) The Chronicle of 754, p. 153 (no. 53).

وانظر: المقري، ج 1، ص 235 الذي يفهم من روايته بوفاة عنيسة مستشهداً في بلاد الفرنج، ولكن يذكر ابن عداري، ج 2، 26، أن عنيسة توفي حثاً وأنه لم يستشهد.